

تفسير سورة النجم

هى إحدى وستون آية . وقيل : ثنتان وستون آية . وهى مكية جميعها فى قول الجمهور ، وروى عن ابن عباس وعكرمة ، أنها مكية إلا آية منها وهى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَاءَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ﴾ الآية . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة النجم بمكة . وأخرج أيضا عن ابن الزبير مثله . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما ، عن ابن مسعود قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ . فسجد رسول الله ﷺ وسجد الناس كلهم ، إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ، وهو أمية بن خلف^(١) . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : أول سورة استعلن بها النبى ﷺ يقرؤها : ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ . وأخرج ابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن ابن عمر قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فقرا : ﴿ النَّجْمِ ﴾ فسجد بنا فأطال السجود^(٢) . وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة أن النبى ﷺ قرأ النجم فلما بلغ السجدة سجد فيها . وأخرج الطيالسى وابن أبى شيبه وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى والطبرانى وابن مردويه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قرأت النجم عند رسول الله ﷺ فلم يسجد فيها^(٣) . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يسجد فى النجم ، فلما هاجر إلى المدينة تركها . وأخرج أيضا عنه أن رسول الله ﷺ لم يسجد فى شيء من المفصل منذ تحول إلى المدينة^(٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ^(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ^(٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ^(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ^(٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ^(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ^(٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ^(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ^(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ^(٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ^(١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ^(١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ^(١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ^(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ^(١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ^(١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ^(١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ^(١٧)

(١) البخارى فى التفسير (٤٨٦٣) ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (١٠٥/٥٧٦) وأبو داود فى الصلاة (١٤٠٦) .

(٢) البيهقى ٣١٤/٢ .

(٣) ابن أبى شيبه فى الصلوات ٦/٢ وأحمد ١٨٣/٥ والبخارى فى سجود القرآن (١٠٧٢) ومسلم فى المساجد (١٠٦/٥٧٧) وأبو داود فى الصلاة (١٤٠٤) والترمذى فى الصلاة (٥٧٦) والنسائى فى الافتتاح ١٦٠/٢ والطبرانى (٤٨٢٩) .

(٤) أبو داود فى الصلاة (١٤٠٣) .

(١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ أَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِللَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦) ﴿

قوله : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ التعريف للجنس ، والمراد به جنس النجوم ، وبه قال جماعة من المفسرين . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

أحسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الأرض زين النساء

وقيل : المراد به : الثريا ، وهو اسم غلب فيها ، تقول العرب : النجم ، وتريد به الثريا ، وبه قال مجاهد وغيره ، وقال السدى : النجم هنا : هو الزهرة ؛ لأن قوما من العرب كانوا يعبدونها . وقيل : النجم هنا : النبت الذى لا ساق له ، كما فى قوله : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] قاله الأخفش . وقيل : النجم محمد ﷺ . وقيل : النجم القرآن وسمى نجما لكونه نزل منجما مفرقا ، والعرب تسمى التفريق تنجيما ، والمفرق : المنجم ، وبه قال مجاهد والفراء وغيرهما . والأول أولى . قال الحسن : المراد بالنجم : النجوم إذا سقطت يوم القيامة . وقيل : المراد بها : النجوم التى ترجم بها الشياطين ، ومعنى هوى : سقوطه من علو ، يقال : هوى النجم يهوى هوىا : إذا سقط من علو إلى سفلى ، وقيل : غروبه ، وقيل : طلوعه . والأول أولى . وبه قال الأصمعى وغيره ، ومنه قول زهير :

تسبح بها الأباعر وهى تهوى هوى الدلو أسلمها الرشاء (١)

ويقال : هوى فى السير : إذا مضى ، ومنه قول الشاعر :

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالَقَ سَاعَ سِرَاعٍ وَالْعِيسُ تَهْوَى هَوِيًّا
خَطَرْتُ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ دَكٍّ رَاكَ وَهْنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا

ومعنى الهوى على قول من فسر النجم بالقرآن : أنه نزل من أعلى إلى أسفل ، وأما على قول من قال : إنه الشجر الذى لا ساق له ، أو أنه محمد ﷺ فلا يظهر للهوى معنى صحيح ، والعامل فى الظرف فعل القسم المقدّر ، وجواب القسم قوله : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ أى ما ضل محمد ﷺ عن الحق والهدى ولا عدل عنه ، والغى : ضد الرشده ، أى ما صار غاويا ، ولا تكلم بالباطل . وقيل : ما خاب فيما طلب ، والغى : الخيبة ، ومنه قول الشاعر :

(١) الرشاء : الحبل ، وجمعه : أرشية .

فمن يلقَ خيراً يَحْمِدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعدِمُ عَلَى الْغَيِّ لَأثِمًا

وفى قوله : ﴿ صاحبكم ﴾ إشارة بأنهم المطلعون على حقيقة حاله ، والخطاب لقريش ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ أى ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره ، فعن على بابها . وقال أبو عبيدة : إنَّ عن بمعنى الباء ، أى بالهوى . قال قتادة : أى ما ينطق بالقراءة عن هواه ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ أى ما هو الذى ينطق به إلا وحي من الله يوحيه إليه ، وقوله : ﴿ يوحى ﴾ صفة لوحى تفيد الاستمرار التجددى ، وتفيد نفى المجاز : أى هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية ﴿ علمه شديد القوى ﴾ القوى جمع قوة ، والمعنى : أنه علمه جبريل الذى ، هو شديد قواه ، هكذا قال أكثر المفسرين : إن المراد : جبريل . وقال الحسن : هو الله عزَّ وجلَّ . والأول أولى . وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ﴿ ذو مرة فاستوى ﴾ المرة : القوة والشدة فى الخلق . وقيل : ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ، ومنه قول النبى ﷺ : « لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرة سوى » ^(١) . وقيل : ذو حصافة عقل ومثانة رأى . قال قطرب : العرب تقول لكل من هو جزل رأى ، حصيف العقل : ذو مرة ، ومنه قول الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مَخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

والتفسير للمرة بهذا أولى ؛ لأن القوة والشدة قد أفادها قوله : ﴿ شديد القوى ﴾ قال الجوهري : المرة إحدى الطبائع الأربع ، والمرة : القوة وشدة العقل ، والفاء فى قوله : ﴿ فاستوى ﴾ للعطف على علمه يعنى جبريل ، أى ارتفع وعاد إلى مكانه فى السماء بعد أن علم محمداً ﷺ ، قاله سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير . وقيل : معنى استوى قام فى صورته التى خلقه الله عليها لأنه كان يأتى النبى ﷺ فى صورة الأدميين . وقيل : المعنى : فاستوى القرآن فى صدره ﷺ . وقال الحسن : فاستوى يعنى الله عزَّ وجلَّ على العرش ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ هذه الجملة فى محل نصب على الحال ، أى فاستوى جبريل حال كونه بالأفق الأعلى . والمراد بالأفق الأعلى : جانب المشرق ، وهو فوق جانب المغرب . وقيل : المعنى : فاستوى عالياً . والأفق : ناحية السماء ، وجمعه آفاق . قال قتادة ومجاهد : هو الموضع الذى تطلع منه الشمس . وقيل : هو يعنى جبريل والنبى ﷺ بالأفق الأعلى ليلة المعراج ، ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة .

﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ أى دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى ، أى قرب من الأرض ، فتدلى فنزل على النبى ﷺ بالوحي . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : ثم تدلى فدنى . قاله ابن الأنبارى وغيره ، قال الزجاج : معنى دنا فتدلى واحد ، أى قرب وزاد فى القرب كما تقول : فدنا منى فلان وقرب ، ولو قلت : قرب منى ودنا جاز . قال الفراء : الفاء فى فتدلى بمعنى الواو ، والتقدير : ثم تدلى جبريل ودنا ، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين .

(١) أبو داود فى الزكاة (١٦٣٤) والترمذى فى الزكاة (٦٥٢) وقال : « حديث حسن » .

واحدا أن تقدّم أيهما شئت . قال الجمهور : والذي دنا فتدلى هو جبريل . وقيل : هو النبي ﷺ . والمعنى : دنا منه أمره وحكمه . والأول أولى . قيل ومن قال : إن الذي استوى هو جبريل ومحمد ، فالمعنى عنده : ثم دنا محمد من ربه دنوّ كرامة فتدلى ، أى هوى للسجود ، وبه قال الضحاك ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أى فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد ﷺ ، أو ما بين محمد ورّبه قاب قوسين ، أى قدر قوسين عربيّين ، والقاب والقيب ، والقاد والقيد : المقدار ، ذكر معناه فى الصحاح ، قال الزجاج : أى فيما تقدّرون أنتم ، واللّه سبحانه عالم بمقادير الأشياء ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا . وقيل : « أو » بمعنى الواو ، أى وأدنى . وقيل : بمعنى بل ، أى بل أدنى ، وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهمداني وأبو وائل شقيق بن سلمة ﴿ فكان قاب قوسين ﴾ : قدر ذراعين ، والقوس : الذراع يقاس بها كل شيء ، وهى لغة بعض الحجازيين وقيل : هى لغة أزد شنوءة ، وقال الكسائي : فكان قاب قوسين أراد قوسا واحدة .

﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ أى فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى ، وفيه تفخيم للوحى الذى أوحى إليه ، والوحى : إلقاء الشيء بسرعة ، ومنه الوحى وهو السرعة ، والضمير فى : ﴿ عبده ﴾ يرجع إلى الله كما فى قوله : ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [فاطر : ٤٥] وقيل : المعنى : فأوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى ، وبالأول قال الربيع والحسن وابن زيد وقتادة . وقيل : فأوحى الله إلى عبده محمد . قيل : وقد أبهم الله سبحانه ما أوحاه جبريل إلى محمد ، أو ما أوحاه الله إلى عبده جبريل أو إلى محمد ولم يبينه لنا ، فليس لنا أن نتعرّض لتفسيره ، وقال سعيد بن جبير : الذى أوحى إليه هو : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [الشرح : ١] إلخ ، و ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ [الضحى : ٦] إلخ . وقيل : أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك . وقيل : إن « ما » للعموم لا للإبهام ، والمراد : كل ما أوحى به إليه ، والحمل على الإبهام أولى لما فيه من التعظيم .

﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ أى ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بصره ليلة المعراج ، يقال : كذبه : إذا قال له الكذب ولم يصدقه ، قال المبرد : معنى الآية : أنه رأى شيئا فصدق فيه . قرأ الجمهور : ﴿ ما كذب ﴾ مخففا ، وقرأ هشام وأبو جعفر بالتشديد ، و « ما » فى : ﴿ ما رأى ﴾ موصولة أو مصدرية فى محل نصب بكذب مخففا ومشددا ﴿ أفتمارونه على ما يرى ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ أفتمارونه ﴾ بالالف من المماراة وهى المجادلة والملاحاة ، وقرأ حمزة والكسائي : « أفتمرونه » بفتح التاء وسكون الميم . أى أفتجدونه ، واختار أبو عبيد القراءة الثانية . قال : لأنهم لم يماروه وإنما جحدوه ، يقال : مرأه حقه ، أى جحدته ، ومريته أنا : جحدته ، قال : ومنه قول الشاعر :

لأن هَجَوْتَ أَخَا صِدْقٍ وَمَكْرَمَةٍ لَقَدْ مَرَّيْتَ أَخَا مَا كَانَ يَمْرِيكَ

أى جحدته ، قال المبرد : يقال : أمراه عن حقه وعلى حقه : إذا منعه منه ودفعه . وقيل : على بمعنى عن ، وقرأ ابن مسعود والشعبي ومجاهد والأعرج : « أفتمرونه » بضم التاء من امرت ، أى أثريبونه وتشكون فيه ، قال جماعة من المفسرين : المعنى على قراءة الجمهور : أفجادلونه ؛ وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به فقالوا : صف لنا مسجد بيت المقدس ، أى فاجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما شاهده وعلمه ، واللام فى قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ هى الموطئة للقسم ، أى واللّه لقد رآه نزلة أخرى ، والنزلة : المرة من النزول ، فانتصابها على الظرفية أو منتصبة على المصدر الواقع موقع الحال ، أى رأى جبريل نازلاً نزلة أخرى ، أو على أنه صفة مصدر مؤكد محذوف ، أى رآه رؤية أخرى . قال جمهور المفسرين : المعنى : أنه رأى محمد جبريل مرةً أخرى . وقيل : رأى محمد ربه مرةً أخرى بفؤاده ﴿ عند سدره المنتهى ﴾ الظرف منتصب بـ ﴿ رآه ﴾ ، والسدر : هو شجرة النبق ، وهذه السدره هى فى السماء السادسة كما فى الصحيح ، وروى أنها فى السماء السابعة ، والمنتهى : مكان الانتهاء ، أو هو مصدر ميمي ، والمراد به : الانتهاء نفسه ، قيل : إليها ينتهى علم الخلائق ولا يعلم أحد منهم ما وراءها . وقيل : ينتهى إليها ما يعرج به من الأرض . وقيل : تنتهى إليها أرواح الشهداء . وقيل : غير ذلك ، وإضافة الشجرة إلى المنتهى من إضافة الشيء إلى مكانه ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ أى عند تلك السدره جنة تعرف بجنة المأوى ، وسميت جنة المأوى لأنه أوى إليها آدم . وقيل : إن أرواح المؤمنين تأوى إليها . قرأ الجمهور : ﴿ جنة ﴾ برفع جنة على أنها مبتدأ وخبرها الظرف المتقدم . وقرأ على وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس ، وزر بن حبيش ، ومحمد بن كعب ومجاهد وأبو سبرة الجهنى : « جنة » فعلاً ماضياً من جنّ يجنّ ، أى ضمه المبيت ، أو ستره إيواء الله له . قال الأخفش : أدركه كما تقول : جنة الليل ، أى ستره وأدركه ، والجملة فى محل نصب على الحال .

﴿ إذ يغشى السدره ما يغشى ﴾ العامل فى الظرف ﴿ رآه ﴾ أيضاً وهو ظرف زمان ، والذى قبله ظرف مكان ، والغشيان بمعنى : التغطية والستر ، وبمعنى الإتيان ، يقال : فلان يغشاني كل حين ، أى يأتيني ، وفى الإيهام فى قوله : ﴿ ما يغشى ﴾ من التفخيم ما لا يخفى . وقيل : يغشاها جراد من ذهب . وقيل : طوائف من الملائكة ، وقال مجاهد : رفرف أخضر . وقيل : رفرف من طيور خضر . وقيل : غشيتها أمر الله ، والمجىء بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة البديعة ، وللدلالة على الاستمرار التجددى . ﴿ ما زاغ البصر ﴾ أى ما مال بصر النبى ﷺ عما رآه ﴿ وما طغى ﴾ أى ما جاوز ما رأى . وفى هذا وصف أدب النبى ﷺ فى ذلك المقام حيث لم يلتفت ولم يمل بصره ، ولم يمد إلى غير ما رأى . وقيل : ما جاوز ما أمر به . ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ أى واللّه لقد رأى تلك الليلة من آيات ربه العظام ما لا يحيط به الوصف ، قيل : رأى رفرفاً سدّ الأفق . وقيل : رأى جبريل فى حلة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض له ستمائة جناح ، كذا فى صحيح مسلم وغيره ،

وقال الضحاك : رأى سدره المنتهى . وقيل : هو كل ما رآه تلك الليلة في مسراه وعوده ، و«من» للتبويض ومفعول رأى : الكبرى ، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً ، أى رأى شيئاً عظيماً من آيات ربه ، ويجوز أن تكون « من » زائدة .

﴿ أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ﴾ لما قصّ الله سبحانه هذه الأفاصيص قال للمشركين ، موبخاً لهم ومقرّعاً : ﴿ أفرايتم ﴾ أى أخبرونى عن الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها ، وهل أوحى إليكم شيئاً كما أوحى الله إلى محمد ، أم هى جمادات لا تعقل ولا تنفع ، ثم ذكر هذه الأصنام الثلاثة التى اشتهرت فى العرب وعظم اعتقادهم فيها ، قال الواحدى وغيره : وكانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله تعالى ، فقالوا : من الله اللات ، ومن العزيز العزى وهى تأنيث الأعز بمعنى : العزيزة ، ومناة من منى الله الشئ إذا قدره . قرأ الجمهور : ﴿ اللات ﴾ بتخفيف التاء ، فقليل : هو مأخوذ من اسم الله سبحانه كما تقدّم . وقيل : أصله : لات يليت ، فالتاء أصلية . وقيل : هى زائدة وأصله : لوى يلوى ، لأنهم كانوا يلون أعناقهم إليها أو يتون عليها ويطوفون بها . واختلف القراء هل يوقف بالتاء أو بالهاء ؟ فوقف عليها الجمهور بالتاء ، ووقف عليها الكسائى بالهاء واختار الزجاج والنراء الوقف بالتاء لاتباع رسم المصحف ، فإنها تكتب بالتاء ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وحميد : « اللات » بتشديد التاء ، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير ، فقليل : هو اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه ، فهو اسم فاعل فى الأصل غلب على هذا الرجل ، قال مجاهد : كان رجلاً فى رأس جبل يتخذ من لبنها وسمنها حيساً ويطعم الحاج ، وكان بطن نخلة ، فلما مات عبده . وقال الكلبي : كان رجلاً من ثقيف له صرمة غنم . وقيل : إنه عامر بن الظرب العدوانى ، وكان هذا الصنم لثقيف ، وفيه يقول الشاعر :

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا وَكَيْفَ يَنْصُرُكُمْ مَنْ لَيْسَ يَنْتَصِرُ

قال فى الصحاح : و﴿ اللات ﴾ اسم صنم لثقيف ، وكان بالطائف وبعض العرب يقف عليها بالتاء ، وبعضهم بالهاء ﴿ والعزى ﴾ : صنم قریش وبنى كنانة ، قال مجاهد : هى شجرة كانت بغطفان ، وكانوا يعبدونها ، فبعث إليها النبى ﷺ خالد بن الوليد فقطعها ، وقيل : كانت شيطانة تأتى ثلاث سمرة بطن نخلة ، وقال سعيد بن جبیر العزى : حجر أبيض كانوا يعبدونه ، وقال قتادة : هى بيت كان بطن نخلة ، ﴿ ومناة ﴾ : صنم بنى هلال ، وقال ابن هشام : صنم هذيل وخزاعة ، وقال قتادة : كانت للأنصار . قرأ الجمهور : ﴿ مناة ﴾ بآلف من دون همزة ، وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمى بالمد والهمزة ، فأما قراءة الجمهور فاشتقاقها من منى يمنى ، أى صب ، لأن دماء النساء كانت تصب عندها

يتقربون بذلك إليها ، وأما على القراءة الثانية فاشتقاقها من النوء ، وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء . وقيل : هما لغتان للعرب ، ومما جاء على القراءة الأولى قول جرير :

أزيد مئة توعدا يا بن تيم تأمل أين تاه بك الوعيد

ومما جاء على القراءة الأخرى قول الحارثي :

ألا هل أتى التيم بن عبد مئة على السر فيما بيننا ابن تميم

وقف جمهور القراء عليها بالتاء اتباعاً لرسم المصحف ، ووقف ابن كثير وابن محيص عليها بالهاء . قال في الصحاح : ومئة : اسم صنم كان بين مكة والمدينة ، والهاء للتانيث ويسكن عليها بالتاء ، وهى لغة . قوله : ﴿ الثالثة الأخرى ﴾ هذا وصف لمئة ، وصفها بأنها ثالثة وبأنها أخرى ، والثالثة لا تكون إلا أخرى .

قال أبو البقاء : فالوصف بالأخرى للتأكيد ، وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى ، والعرب إنما تصف به الثانية . فقال الخليل : إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي كقوله : ﴿ مآرب أخرى ﴾ [طه : ١٨] وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير ، والتقدير : أفرايتم اللات والعزى الأخرى ومئة الثالثة ، وقيل : إن وصفها بالأخرى لقصد التعظيم لأنها كانت عند المشركين عظيمة ، وقيل : إن ذلك للتحقير والذم ، وإن المراد المتأخرة الوضعية كما فى قوله : ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ﴾ [الأعراف : ٣٨] أى وضعاؤهم لرؤسائهم ، ثم كرر سبحانه توبيخهم وتقريعهم بمقالة شعاء قالوها فقال : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ أى كيف تجعلون لله ما تكرهون من الإناث وتعملون لأنفسكم ما تحبون من الذكور ، قيل وذلك قولهم : إن الملائكة بنات الله . وقيل : المراد : كيف تجعلون اللات ، والعزى ، ومئة ، وهى إناث فى زعمكم ، شركاء لله ، ومن شأنهم أن يحتقروا الإناث . ثم ذكر سبحانه أن هذه التسمية والقسمه المفهومة من الاستفهام قسمه جائزة فقال : ﴿ تلك إذا قسمه ضيزى ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ ضيزى ﴾ بياء ساكنة بغير همزة ، وقرأ ابن كثير بهمزة ساكنة ، والمعنى : أنها قسم خارجة عن الصواب جائزة عن العدل مائلة عن الحق ، قال الأخفش ، يقال : ضاز فى الحكم ، أى جار ، وضازه حقه يضيظه ضيزا ، أى نقصه وبخسه ، قال : وقد يهمز . وأنشد :

فإن تنأ عناً نتقصك وإدا تغب فحقك مضووز وأنفك راعم

وقال الكسائي : ضاز يضيض ضيرا ، وضاز يضوز ضوزا : إذا تعدى وظلم وبخس وانتقص . ومنه قول الشاعر :

ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

قال الفراء : وبعض العرب يقول : « ضىزى » بالهمز ، وحكى أبو حاتم عن أبى زيد أنه سمع العرب تهمز ضيزى . قال البغوى : ليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى

النوع إنما تكون في الأسماء مثل ذكرى . قال المؤرج : كرهوا ضم الضاد في ضيرى . وخافوا انقلاب الياء واوا وهى من بنات الواو ، فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا فى جمع أبيض بيض ، وكذا قال الزجاج . وقيل : هى مصدر كذكرى ، فيكون المعنى : قسمة ذات جور وظلم .

ثم رد سبحانه عليهم بقوله : ﴿ إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ﴾ أى ما الأوثان أو الأصنام باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة إلا أسماء محضة ، ليس فيها شيء من معنى الألوهية التى تدعونها ، لأنها لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل ولا تفهم ولا تضمر ولا تنفع ، فليست إلا مجرد أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ، قلد الآخر فيها الأول . وتبع فى ذلك الأبناء الآباء ، وفى هذا من التحقير لشأنها ما لا يخفى ، كما تقول فى تحقير رجل : ما هو إلا اسم إذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة ، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها ﴾ [يوسف : ٤٠] سميته زيدا وسميته بزید ، فقوله : ﴿ سميتوها ﴾ صفة لأصنام ، والضمير يرجع إلى الأسماء لا إلى الأصنام ، أى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء . وقيل : إن قوله : ﴿ هى ﴾ راجع إلى الأسماء الثلاثة المذكورة . والأول أولى ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ أى ما أنزل بها من حجة ولا برهان ، قال مقاتل : لم ينزل لنا كتابا لكم فيه حجة كما تقولون إنها آلهة ، ثم أخبر عنهم بقوله : ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾ أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها إلا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا ، والتفت من الخطاب إلى الغيبة إعراضا عنهم وتحقيرا لشأنهم فقال : ﴿ وما تهوى الأنفس ﴾ أى تميل إليه وتشتهيه من غير التفات إلى ما هو الحق الذى يجب الاتباع له . قرأ الجمهور : ﴿ يتبعون ﴾ بالتحية على الغيبة . وقرأ عيسى بن عمر وأيوب وابن السميّق بالفوقية على الخطاب ، ورويت هذه القراءة عن ابن مسعود وابن عباس وطلحة وابن وثاب ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ أى البيان الواضح الظاهر بأنها ليست بآلهة . والجملة فى محل نصب على الحال من فاعل يتبعون ، ويجوز أن يكون اعتراضا ، والأول أولى . والمعنى : كيف يتبعون ذلك والحال أن قد جاءهم ما فيه هدى لهم من عند الله على لسان رسوله الذى بعثه الله بين ظهرائهم وجعله من أنفسهم .

﴿ أم للإنسان ما تمنى ﴾ أم « هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة التى للإنكار ، فأضرب عن اتباعهم الظن الذى هو مجرد التوهم ، ومن اتباعهم هوى الأنفس وما تميل إليه ، وانتقل إلى إنكار أن يكون لهم ما يتمنون من كون الأصنام تنفعهم وتنفع لهم ، ثم علل انتفاء أن يكون للإنسان ما تمنى بقوله : ﴿ فله الآخرة والأولى ﴾ أى أن أمور الآخرة والدنيا بأسرها لله عز وجل فليس لهم معه أمر من الأمور ، ومن جملة ذلك آمانياتهم الباطلة وأطماعهم الفارغة . ثم أكد ذلك وزاد فى إبطال ما يتمنونه فقال : ﴿ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا ﴾ وكم هنا هى الخبرية المفيدة للتكثير ، ومحلها الرفع على الابتداء ، والجملة بعدها

خبرها ، ولما فى ﴿ كم ﴾ من معنى التكثير ، جمع الضمير فى شفاعتهم مع أفراد الملك ، والمعنى التوبيخ لهم بما يمتنون ويطمعون فيه من شفاعاة الأصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له ، فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم وهو معنى قوله : ﴿ إلا من بعد أن يأذن الله ﴾ لهم بالشفاعة ﴿ لمن يشاء ﴾ أن يشفعوا له ﴿ ويرضى ﴾ بالشفاعة له لكونه من أهل التوحيد ، وليس للمشركين فى ذلك حظ ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ قال : إذا انصب . وأخرج ابن المنذر عنه قال : هو الثريا إذا تدلت . وأخرج عنه أيضا قال : أقسم الله أن ما ضلّ محمد ولا غوى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ ذو مرة ﴾ قال : ذو خلق حسن . وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود ؛ أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين ، أما واحدة : فإنه سأله أن يراه فى صورته فأراه صورته فسد الأفق ، وأما الثانية : فإنه كان معه حيث صعد ، فذلك قوله : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ . « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » . قال : خلق جبريل (١) . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أن النبى ﷺ قال : « رأيت جبريل عند سدة المنتهى له ستمائة جناح » وأخرجه أحمد عنه أيضا (٢) . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ قال : مطلع الشمس . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ قال : رأى النبى ﷺ جبريل له ستمائة جناح (٣) . وأخرج القريبابى وعبد بن حميد والترمذى ، وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عنه فى قوله : ﴿ ما كذب القواد ما رأى ﴾ قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلة من ردف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض (٤) . وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ قال : هو محمد ﷺ دنا فتدلى إلى ربه . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه قال : دنا ربه فتدلى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ فكان قاب قوسين ﴾ قال : دنا جبريل منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين . وأخرج الطبرانى ، وابن مردويه ، والضياء فى المختارة عن ابن عباس قال : القاب : القيد ، والقوسين : الذراعين . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أسرى بالنبى

(١) أحمد ٤٠٧/١ والطبرانى (١٠٥٤٧) .

(٢) أحمد ٣٩٨/١ وابن جرير ٢٧/٢٧ .

(٣) البخارى فى التفسير (٤٨٥٦ ، ٤٨٥٧) وفى بدء الخلق (٣٢٣٢) ومسلم فى الإيمان (١٧٤/٢٨٠ - ٢٨٢) والترمذى فى التفسير (٣٢٧٧) والنسائى فى التفسير (٥٥٤) .

(٤) الترمذى فى التفسير (٣٢٨٣) وقال : « حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٥٥١) وابن جرير ٢٧/٣٠ والطبرانى (٩٠٥٠) وصححه الحاكم ٤٦٨/٢ ، ٤٦٩ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى .

ﷺ اقترب من ربه . فكان قاب قوسين أو أدنى ، ألم تر إلى القوس ما أقربها من الوتر .

وأخرج النسائي وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ قال : عبده محمد ﷺ . وأخرج مسلم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ، عنه في قوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ قال : رأى محمد ربه بقلبه مرتين ^(١) . وأخرج نحوه عنه عبد بن حميد ، والترمذي وحسنه ، وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه ^(٢) . وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : رأى محمد ربه . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه . وأخرج الطبراني وابن مردويه عنه قال : رأى محمد ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده . وأخرج الترمذي وحسنه ، والطبراني وابن مردويه والبيهقي عنه أيضا قال : لقد رأى النبي ﷺ ربه عز وجل ^(٣) . وأخرج النسائي ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عنه أيضا قال : أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد ؟ وقد روى نحو هذا عنه من طرق ^(٤) .

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه ؟ » ^(٥) . وأخرج مسلم وابن مردويه عنه أنه سأل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « رأيت نوراً » ^(٦) . وأخرج عبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا قال : رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره ^(٧) .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ قال : جبريل ^(٨) . وأخرج أحمد ، وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود قال : لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة ينتهى ما يعرج من الأرواح فيقبض منها وإليها وينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ قال : فراش من ذهب ^(٩) . وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود قال : الجنة فى السماء السابعة العليا ، والنار فى الأرض السابعة السفلى . وأخرج البخارى

(١) مسلم فى الإيمان (٢٨٥/١٧٦ ، ٢٨٦) والطبراني (١٢٩٤١) والبيهقى فى الأسماء والصفات ١٨٣/٢ .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣٢٧٨) وقال « هذا حديث حسن » وابن جرير ١٣١/٢٧ والطبراني (١٢٩٤١)

(٣) الترمذى فى التفسير (٣٢٨٠) وقال : « هذا حديث حسن » والطبراني (١٢٤٠٠) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ١٨٩/٢ .

(٤) النسائي فى التفسير (٥٥٩) وإسناده حسن وصححه الحاكم ٦٥/١ ، ٤٦٩/٢ على شرط البخارى ، ووافقه الذهبي .

(٥) مسلم فى الإيمان (٢٩١/١٧٨) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٢) وقال : « حديث حسن » .

(٦) مسلم فى الإيمان (٢٩٢/١٧٨) .

(٧) النسائي فى التفسير (٥٥٦) .

(٨) مسلم فى الإيمان (٢٨٣/١٧٥) .

(٩) مسلم فى الإيمان (٢٧٩/١٧٣) والترمذى فى التفسير (٣٢٧٦) والنسائي ٢٢٤/١ والبيهقى فى الدلائل ٤٧٤/٥ .

وغيره عن ابن عباس قال : كان اللات رجلا يلت السوق للحاج . وأخرج الطبراني وابن مردويه ، عنه أن العزى كانت بيطن نخلة ، وأن اللات كانت بالطائف ، وأن مناة كانت بقديد . وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس ﴿ضيّزى﴾ قال : جائرة لا حق لها .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) ﴿

قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ أى أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة وهم الكفار يسمون إلى كفرهم مقالة شعاء وجهالة جهلاء ، وهى أنهم يسمون الملائكة المنزهين عن كل نقص تسمية الأنثى . وذلك أنهم زعموا أنها بنات الله فجعلوهم إناثا وسموهم بنات ﴿وما لهم به من علم﴾ هذه الجملة فى محل نصب على الحال ، أى يسمونهم هذه التسمية والحال أنهم غير عالين بما يقولون ، فإنهم لم يعرفوهم ، ولا شاهدوهم ، ولا بلغ إليهم ذلك من طريق من الطرق التى يخبر المخبرون عنها . بل قالوا ذلك جهلاً وضلالة وجرأة ، وقرئ : « ما لهم بها » أى بالملائكة أو التسمية ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أى ما يتبعون فى هذه المقالة إلا مجرد الظن والتوهم . ثم أخبر سبحانه عن الظنّ وحكمه فقال : ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أى إن جنس الظن لا يقوم بغنى من الحق شيئاً من الإغناء ، والحق هنا : العلم ، وفيه دليل على أن مجرد الظن لا يقوم مقام العلم وأن الظان غير عالم ، وهذا فى الأمور التى يحتاج فيها إلى العلم وهى المسائل العلمية لا فيما يكتفى فيه بالظن . وهى المسائل العملية ، وقد قدمنا تحقيق هذا ، ولا بدّ من هذا التخصيص ، فإن دلالة العموم ، والقياس ، وخبر الواحد ، ونحو ذلك ظنية ، فالعمل بها عمل بالظن . وقد وجب علينا العمل به فى مثل هذه الأمور ، فكانت أدلة وجوبه العمل به فيها

مخصصة لهذا العموم، وما ورد في معناه من الذم لمن عمل بالظن والنهي عن اتباعه .

﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ﴾ أى أعرض عمن أعرض عن ذكرنا ، والمراد بالذكر هنا : القرآن ، أو ذكر الآخرة ، أو ذكر الله على العموم ، وقيل : المراد بالذكر هنا : الإيمان ، والمعنى : اترك مجادلتهم فقد بلغت إليهم ما أمرت به ، وليس عليك إلا البلاغ ، وهذا منسوخ بآية السيف ﴿ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ التى لم يرد سواها ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها ، فإنه غير متاهل للخير ، ولا مستحق للاعتناء بشأته . ثم صغرسبحانه شأنهم وحقر أمرهم فقال : ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أى إن ذلك التولى وقصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم ، ليس لهم غيره ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين . قال الفراء : أى ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة . وقيل : الإشارة بقوله : ﴿ ذلك ﴾ إلى جعلهم للملائكة بنات الله وتسميتهم لهم تسمية الأنثى ، والأول أولى . والمراد بالعلم هنا : مطلق الإدراك الذى يندرج تحته الظن الفاسد ، والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن . وقيل : معترضة بين المعلل والعلة وهى قوله : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ فإن هذا تعليل للأمر بالإعراض ، والمعنى : أنه سبحانه أعلم بمن حاد عن الحق وأعرض عنه ولم يهتد إليه ، وأعلم بمن اهتدى فقبل الحق وأقبل إليه وعمل به ، فهو مجاز كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وإرشاد له بأنه لا يتعب نفسه فى دعوة من أصرّ على الضلالة وسبقت له الشقاوة ، فإن الله قد علم حال هذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد .

ثم أخبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه فقال : ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ أى هو المالك لذلك ، والمتصرف فيه لا يشاركه فيه أحد ، واللام فى ﴿ ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ﴾ متعلقة بما دلّ عليه الكلام ، كأنه قال هو مالك ذلك يفضل من يشاء ويهدى من يشاء ليجزى المسئء بإساءته والمحسن بإحسانه . وقيل : إن قوله : ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ معترضة ، والمعنى : إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزى . وقيل : هى لام العاقبة ، أى وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن والمسئء أن يجزى الله كلا منهما بعمله ، وقال مكى : إن اللام متعلقة بقوله : ﴿ لا تغنى شفاعتهم ﴾ وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى . قرأ الجمهور : ﴿ ليجزى ﴾ بالتحنية ، وقرأ زيد بن على بالتون ، ومعنى ﴿ بالحسنى ﴾ أى بالثوبة الحسنى وهى الجنة ، أو بسبب أعمالهم الحسنى .

ثم وصف هؤلاء المحسنين فقال : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ﴾ فهذا الموصول فى محل نصب على أنه نعت للموصول الأول فى قوله : ﴿ الذين أحسنوا ﴾ وقيل : بدل منه . وقيل : بيان له . وقيل : منصوب على المدح بإضمار أعنى ، أو فى محل رفع على أنه خير

مبتدأ محذوف ، أى هم الذين يجتنبون كبائر الإثم . قرأ الجمهور : ﴿كبائر﴾ على الجمع ، وقرأ حمزة والكسائي والأعشى ويحيى بن وثاب : « كبير » على الأفراد ، والكبائر : كل ذنب توعد الله عليه بالنار ، أو ذمّ فاعله ذمّا شديداً . ولأهل العلم فى تحقيق الكبائر كلام طويل ، وكما اختلفوا فى تحقيق معناها وماهيتها اختلفوا فى عددها . والفواحش جمع فاحشة : وهى ما فحش من كبائر الذنوب كالزنا ونحوه ، وقال مقاتل : كبائر الإثم : كل ذنب ختم بالنار ، والفواحش : كل ذنب فيه الحد . وقيل : الكبائر : الشرك ، والفواحش : الزنا ، وقد قدمنا فى سورة النساء ما هو أبسط من هذا وأكثر فائدة ، والاستثناء بقوله : ﴿إلا اللّم﴾ منقطع ، وأصل اللّم فى اللغة : ما قلّ وصغر ، ومنه ألمّ بالمكان : قلّ لبثه فيه ، وألمّ بالطعام : قلّ أكله منه ، قال المبرد : أصل اللّم أن تلمّ بالشئ من غير أن تركبه . يقال : ألمّ بكذا : إذا قاربته ولم يخاطبه ، قال الأزهري : العرب تستعمل الإمام فى معنى الدنو والقرب ، ومنه قول جرير :

بنفسى من تجنبه عزيز علىّ ومن زيارته لمام
وقول الآخر :

متى تأتانا تلمم بنا فى ديارنا تجد خطبا جزلا ونارا تأججا
قال الزجاج : أصل اللّم والإمام : ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه ، يقال : ألمت به : إذا زرتّه وانصرفت عنه ، ويقال : ما فعلته إلا لماما وإماما ، أى الحين بعد الحين ، ومنه إمام الخيال . قال الأعشى :

ألمّ خيال من قبيلة بعدما وهى حبلها من حبلنا فتصرما
قال فى الصحاح : ألمّ الرجل من ألم وهو صغار الذنوب ، ويقال : هو مقاربة المعصية من غير موقعة وأنشد غيره :

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب وقلّ أن تملينا فما ملك القلب
وقد اختلفت أقوال أهل العلم فى تفسير هذا اللّم المذكور فى الآية . فالجمهور على أنه صغائر الذنوب . وقيل : هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة ، وبه قال مجاهد والحسن والزهرى وغيرهم ، ومنه :

إن تغفر اللهم تغفر جمّا وأى عبد لك لا الما
اختار هذا القول الزجاج والنحاس . وقيل : هو ذنوب الجاهلية ، فإن الله لا يؤاخذ بها فى الإسلام ، وقال نفطويه : هو أن يأتى بذنب لم يكن له بعادة ، قال : والعرب تقول : ما تأتانا إلا إماما ، أى فى الحين بعد الحين ، قال : ولا يكون أن يلمّ ولا يفعل ، لأن العرب لا

تقول : ألم بنا ، إلا إذا فعل ، لا إذا هم ولم يفعل ، والراجع الأول . وجملة : ﴿ إن ربك واسع المغفرة ﴾ تعليل لما تضمنه الاستثناء ، أى إن ذلك وإن خرج عن حكم المؤاخذه فليس يخلو من كونه ذنباً يقتدر إلى مغفرة الله ، ويحتاج إلى رحمته . وقيل : إنه سبحانه يغفر لمن تاب عن ذنبه . ثم ذكر سبحانه إحاطة علمه بأحوال عباده فقال : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ﴾ أى خلقكم منها فى ضمن خلق أبيكم آدم . وقيل : المراد آدم فإنه خلقه من طين ﴿ وإذ أنتم أجنة ﴾ أى هو أعلم بأحوالكم وقت كونكم أجنة ، والأجنة جمع جنين وهو الولد ما دام فى البطن سمي بذلك لاجتماعه ، أى استتاره ولهذا قال : ﴿ فى بطون أمهاتكم ﴾ فلا يسمى من خرج عن البطن جنيناً ، والجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ أى لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تنثروا عليها ، فإن ترك تزكية النفس أبعد عن الرياء ، وأقرب إلى الخشوع ، وجملة : ﴿ هو أعلم بمن اتقى ﴾ مستأنفة مقررة للنهى ، أى هو أعلم بمن اتقى عقوبة الله وأخلص العمل له . قال الحسن : وقد علم سبحانه من كل نفس ما هى عاملة ، وما هى صائنة ، وإلى ما هى صائنة .

ثم لما بين سبحانه جهالة المشركين على العموم خصّ بالذم بعضهم فقال : ﴿ أفرأيت الذى تولى ﴾ أى تولى عن الخير ، وأعرض عن اتباع الحق ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ أى أعطى عطاء قليلاً ، وأعطى شيئاً قليلاً وقطع ذلك وأمسك عنه ، وأصل أكدى من الكدية وهى الصلابة ، يقال لمن حفر بئراً ثم بلغ فيها إلى حجر لا يتهياً له فيه حفر قد أكدى ، ثم استعملته العرب لمن أعطى فلم يتم ، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره ، ومنه قول الحطيئة :

فأعطى قليلاً ثم أكدى عطاؤه ومن يَبْذُلُ المعروفَ فى الناس يحمد

قال الكسائى وأبو زيد : ويقال : كديت أصابعه : إذا محلت من الحفر ، وكدت يده : إذا كلت فلم تعمل شيئاً ، وكدت الأرض : إذا قل نباتها ، وأكديت الرجل عن الشيء رددته ، وأكدى الرجل : إذا قلّ خيره . قال الفراء : معنى الآية : أمسك من العطية وقطع . وقال المبرد : منع منعاً شديداً ، قال مجاهد وابن زيد ومقاتل : نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه ، فغيره بعض المشركين فترك ورجع إلى شركه ، قال مقاتل : كان الوليد مدح القرآن ، ثم أمسك عنه فأعطى قليلاً من لسانه من الخير ثم قطعه . وقال الضحاک : نزلت فى النضر بن الحارث . وقال محمد بن كعب القرظى : نزلت فى أبى جهل ^(١) . ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والمعنى : أعند هذا المكدى علم ما غاب عنه من أمر العذاب ، فهو يعلم ذلك . ﴿ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ﴾ أى لم يخبر ولم يحدث بما فى صحف موسى ، يعنى : أسفاره ، وهى التوراة ، وبما فى صحف إبراهيم الذى وفى ، أى تم وأكمل ما أمر به . قال المفسرون : أى بلغ قومه ما أمر به وأداه إليهم . وقيل : بالغ فى الوفاء بما عاهد الله عليه .

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٧ .

ثم بين سبحانه ما فى صحفهما فقال : ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى ، ومعناه : لا تؤخذ نفس بذنب غيرها ، وأن هى المخففة من الثقلية واسمها ضمير شأن مقدّر ، وخبرها الجملة بعدها ومحل الجملة الجزأ على أنها بدل من صحف موسى وصحف إبراهيم ، أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف ، وقد مضى تفسير هذه الآية فى سورة الأنعام ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ عطف على قوله : ﴿ألا تزر﴾ وهذا أيضا مما فى صحف موسى ، والمعنى : ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع أحدا عمل أحد ، وهذا العموم مخصوص بمثل قوله سبحانه : ﴿ألقنا بهم ذريتهم﴾ [الطور : ٢١] وبمثل ما ورد فى شفاعة الأنبياء والملائكة للعباد ومشروعية دعاء الأحياء للأموات ونحو ذلك ، ولم يصب من قال : إن هذه الآية منسوخة بمثل هذه الأمور ، فإن الخاص لا ينسخ العام ، بل يخصه ، فكل ما قام الدليل على أن الإنسان ينتفع به وهو من غير سعيه كان مخصصا لما فى هذه الآية من العموم : ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة . ﴿ثم يجزاه﴾ أى يجزى الإنسان سعيه ، يقال : جزاه الله بعمله وجزاه على عمله ، فالضمير المرفوع عائد إلى الإنسان ، والمنصوب إلى سعيه . وقيل : إن الضمير المنصوب راجع إلى الجزاء المتأخر وهو قوله : ﴿الجزاء الأوفى﴾ فيكون الضمير راجعا إلى متأخر عنه هو مفسر له ، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب راجعا إلى الجزاء الذى هو مصدر يجزاه ، ويجعل الجزاء الأوفى تفسيرا للجزاء المدلول عليه بالفعل كما فى قوله : ﴿اعدلوا هو أقرب﴾ [المائدة : ٨] قال الأخفش : يقال : جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما . ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أى المرجع والمصير إليه سبحانه لا إلى غيره فيجازيهم بأعمالهم .

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ قال : الكبائر : ما سعى الله فيه النار ، والفواحش : ما كان فيه حد الدنيا . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين : النظر ، وزنا اللسان : النطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » (١) .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب ، عن ابن مسعود فى قوله : ﴿إلا اللمم﴾ قال : زنا العينين : النظر ، وزنا الشفتين : التقبيل ، وزنا اليدين : البطش ، وزنا الرجلين : المشى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه ، فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم . وأخرج مسدد وابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى هريرة أنه سئل عن قوله : ﴿إلا اللمم﴾ قال هى النظرة والغمرة والقبلة والمباشرة ، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنا . وأخرج سعيد بن منصور والترمذى وصححه ،

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٤٣) وفى القدر (٦٦١٢) معلقا ومسلم فى القدر (٢٦٥٧/٢٠) وأبو داود فى النكاح (٢١٥٢) والسنائى فى التفسير (٥٦٤) .

والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب ، عن ابن عباس قال في قوله : ﴿إِلَّا اللّٰمُ﴾ هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها قال : وقال رسول الله ﷺ :

«إن تغفر اللهم تغفر جما وأىّ عبد لك لا ألما» (١)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه في قوله : ﴿إِلَّا اللّٰمُ﴾ يقول : إلا ما قد سلف . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة في قوله : ﴿إِلَّا اللّٰمُ﴾ قال : اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ، فذلك الإلام . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس ، قال : اللمم كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة يكفره الصلاة ، وهو دون كل موجب ، فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، وأبو نعيم في المعرفة عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال : كانت اليهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا : هو صديق . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « كذبت يهود ما من نسمة يخلقها في بطن أمها إلا أنه شقى وسعيد » ، فأنزل الله عند ذلك : ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ الآية كلها (٢) .

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود عن زينب بنت أبي سلمة أنها سميت برّة فقال رسول الله ﷺ : « لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم ، سموها زينب » (٣) . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قال : قطع . نزلت في العاص بن وائل . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال : أطاع قليلا ثم انقطع .

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والشيرازي في الألقاب ، والديلمي قال السيوطي : بسند ضعيف ، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « أندرون ما قوله : ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفى عمل يومه بأربع ركعات كان يصلينهن وزعم أنها صلاة الضحى » وفى إسناده جعفر بن الزبير ، وهو ضعيف (٤) . وأخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : مهام

(١) الترمذى فى التفسير (٣٢٨٤) وقال « هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق » وابن جرير ٣٩/٢٧ وصححه الحاكم ٤٦٩/٢ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي فى الشعب (٧٠٥٥ ، ٧٠٥٦) . ط . دار الكتب العلمية .

وقد نسب هذا البيت لأمية بن أبى الصلت فى اللسان ، وفى القرطبي : قاله عند احتضاره وقيل : القائل هو أبو خراشة الهذلي ، قاله وهو يطوف بالبيت ، والواضح أن رسول الله ﷺ قد تمثل به .

(٢) الطبراني (١٣٦٨) . (٣) مسلم فى الآداب (١٩/٢١٤٢) وأبو داود فى الأدب (٤٩٥٣) .

(٤) ابن جرير ٤٣/٢٧ والديلمي فى الفردوس (٧١٦٩) .

الإسلام ثلاثون سهما لم يتمها أحد قبل إبراهيم عليه السلام ، قال الله : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ ^(١) . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : يقول إبراهيم الذى استكمل الطاعة فيما فعل بآبائه حين رأى الرؤيا ، والذى فى صحف موسى : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ إلى آخر الآية ^(٢) . وأخرج ابن أبى حاتم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى ؟ أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ [الروم : ١٧] إلى آخر الآية . وفى إسناده ابن لهيعة ^(٣) . وأخرج عبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ والنجم ﴾ فبلغ : ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ قال : وفى : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ إلى قوله : ﴿ من النذر الأولى ﴾ ^(٤) .

وأخرج أبو داود والنحاس كلاهما فى النسخ ، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عنه قال : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ﴾ [الطور : ٢١] فأدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء ^(٥) . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا قال : كان رسول الله ﷺ إذا قرأ : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ استرجع واستكان . وأخرج الدارقطنى فى الأفراد ، والبغوى فى تفسيره عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ قال : « لا فكرة فى الرب » ^(٦) .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَاها مَا غَشَى (٥٤) فَبَآيَ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى (٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢) ﴿

قوله : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ أى هو الخالق لذلك والقاضى بسببه . قال الحسن

(١) صححه الحاكم ٤٧٠ / ٢ . ووافقه الذهبى . (٢) ابن جرير ٤٣ / ٢٧ .

(٣) الرواية فى ابن جرير ٤٣ / ٢٧ . والديلمى فى الفردوس (٧١٧٠) .

(٤) صححه الحاكم ٤٧٠ / ٢ . ووافقه الذهبى . (٥) الأثر عن ابن جرير ٤٤ / ٢٧ .

(٦) البغوى فى التفسير ٢٥٥ / ٤ .

والكلبي : أضحك أهل الجنة في الجنة ، وأبكى أهل النار في النار . وقال الضحاك : أضحك الأرض بالنبات ، وأبكى السماء بالمطر . وقيل : أضحك من شاء بأن سره ، وأبكى من شاء بأن غمه . وقال سهل بن عبد الله : أضحك المطيعين بالرحمة ، وأبكى العاصين بالسخط ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أى قضى أسباب الموت والحياة ، ولا يقدر على ذلك غيره . وقيل : خلق نفس الموت والحياة كما فى قوله : ﴿ خلق الموت والحياة ﴾ [الملك : ٢] وقيل : أمات الآباء وأحيا الأبناء . وقيل : أمات فى الدنيا وأحيا للبعث . وقيل : المراد بهما : النوم واليقظة . وقال عطاء : أمات بعدله وأحيا بفضلله . وقيل : أمات الكافر وأحيا المؤمن كما فى قوله : ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ [الأنعام : ٢٢] .

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى ﴾ المراد بالزوجين : الذكر والأنثى من كل حيوان ، ولا يدخل فى ذلك آدم وحواء فإنهما لم يخلقا من النطفة ، والنطفة : الماء القليل ، ومعنى ﴿ إذا تمنى ﴾ : إذ تصبّ فى الرحم وتدفق فيه كذا قال الكلبي والضحاك وعطاء ابن أبى رباح وغيرهم ، يقال : منى الرجل وأمنى ، أى صب المنى . وقال أبو عبيدة : ﴿ إذا تمنى ﴾ : إذا تقدر : يقال : منيت الشيء : إذا قدرته ومنى له ، أى قدر له ومنه قول الشاعر :

حَتَّى تُلَاقَى مَا يَمْنَى لَكَ الْمَانِي

والمعنى : أنه يقدر منها للولد . ﴿ وأن عليه النشأة الأخرى ﴾ أى إعادة الأرواح إلى الأجسام عند البعث وفاء بوعده . قرأ الجمهور : ﴿ النشأة ﴾ بالقصر بوزن الضربة ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالمدّ بوزن الكفالة ، وهما على القراءتين مصدران . ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ أى أغنى من شاء وأفقر من شاء ، ومثله قوله : ﴿ ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ [الرعد : ٢٦] وقوله : ﴿ يقبض ويبسط ﴾ [البقرة : ٢٤٥] قاله ابن زيد ، واختاره ابن جرير ، وقال مجاهد وقتاده والحسن : أغنى : مَوَّل ، وأقنى : أخدم . وقيل : معنى أقنى : أعطى القنية ، وهى ما يتأثّل من الأموال . وقيل : معنى أقنى : أرضى بما أعطى ، أى أغناه ، ثم رضاه بما أعطاه . قال الجوهري : قنى الرجل قنى ، مثل غنى غنى ، أى أعطاه ما يقتنى ، وأقناه : أرضاه ، والقنى : الرضا . قال أبو زيد : تقول العرب : من أعطى مائة من البقر فقد أعطى القنى ، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطى الغنى ، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطى المنى . قال الأخفش وابن كيسان : أقنى : أفقر . وهو يؤيد القول الأوّل . ﴿ وأنه هو رب الشعري ﴾ هى كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها ، والمراد بها : الشعري التى يقال لها : العبور ، وهى أشد ضياء من الشعري التى يقال لها : الغميصاء . وإنما ذكر سبحانه أنه ربّ الشعري مع كونه ربّاً لكل الأشياء للردّ على من كان يعبدها ، وأول من عبدها أبو كبشة ، وكان من أشرف العرب ، وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ : ابن أبى كبشة ، تشبيها له

به لمخالفته دينهم كما خالفهم أبو كبشة ، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم الفتح : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة .

﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى** ﴾ وصف عاد بالأولى لكونهم كانوا من قبل ثمود . قال ابن زيد : قيل لها : عاد الأولى ، لأنهم أول أمة أهلكت بعد نوح . وقال ابن إسحاق : هما عادان ، فالأولى أهلكت بالصرصر ، والأخرى أهلكت بالصيحة . وقيل : عاد الأولى : قوم هود وعاد الأخرى : إرم . قرأ الجمهور : ﴿ **عاد الأولى** ﴾ بالتنوين والهمز ، وقرأ نافع وابن كثير وابن محيصن بنقل حركة الهمزة على اللام وإدغام التنوين فيها . ﴿ **وئمود فما أبقي** ﴾ أى وأهلك ثمود كما أهلك عاداً فما أبقي أحداً من الفريقين ، وئمود هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة ، وقد تقدّم الكلام على عاد وئمود فى غير موضع . ﴿ **وقوم نوح من قبل** ﴾ أى وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وئمود ﴿ **إنهم كانوا هم أضلّ وأطغى** ﴾ أى أضلّ من عاد وئمود وأطغى منهم ، أو أضلّ وأطغى من جميع الفرق الكفرية ، أو أضلّ وأطغى من مشركى العرب ، وإنما كانوا كذلك لأنهم عتوا على الله بالمعاصى مع طول مدة دعوة نوح لهم ، كما فى قوله : ﴿ **فليت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً** ﴾ [العنكبوت : ١٤] ﴿ **والمؤتفة أهوى** ﴾ الائتفاك : الانقلاب ، والمؤتفة : مدائن قوم لوط ، وسميت المؤتفة : لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها ، تقول : أفكته إذا قلبته ، ومعنى ﴿ **أهوى** ﴾ : أسقط ، أى أهواها جبريل بعد أن رفعها . قال المبرد : جعلها تهوى . ﴿ **فغشاها ما غشى** ﴾ أى ألبسها ما ألبسها من الحجارة التى وقعت عليها ، كما فى قوله : ﴿ **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ [الحجر : ٧٤] وفى هذه العبارة تهويل للأمر الذى غشاها به وتعظيم له . وقيل : إن الضمير راجع إلى جميع الأمم المذكورة ، أى فغشاها من العذاب ما غشى على اختلاف أنواعه .

﴿ **فبأى آلاء ربك تمارى** ﴾ هذا خطاب للإنسان المكذب ، أى فبأى نعم ربك أيها الإنسان المكذب تشكك وتفتري . وقيل : الخطاب لرسول الله ﷺ تعريضاً لغيره . وقيل : لكل من يصلح له ، وإسناد فعل التمارى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وسمى هذه الأمور المذكورة آلاء ، أى نعماً مع كون بعضها نقماً لا نعماً ، لأنها مشتملة على العبر والمواعظ ، ولكون فيها انتقام من العصاة ، وفى ذلك نصرة للأنبياء والصالحين ، قرأ الجمهور : ﴿ **تمارى** ﴾ من غير إدغام ، وقرأ يعقوب وابن محيصن بإدغام إحدى التائين فى الأخرى . ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى** ﴾ أى هذا محمد رسول إليكم من الرسل المتقدمين قبله فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم . كذا قال ابن جريج ومحمد بن كعب وغيرهما ، وقال قتادة : يريد القرآن ، وأنه أنذر بما أنذرت به الكتب الأولى . وقيل : هذا الذى أخبرنا به من أخبار الأمم تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك ، كما قال أبو مالك . وقال أبو صالح : إن الإشارة

بقوله : ﴿ هذا ﴾ إلى ما فى صحف موسى وإبراهيم ، والأول أولى . ﴿ أزفت الآزفة ﴾ أى قربت الساعة ودنت ، سماها آزفة لقرب قيامها ، وقيل : لدنوها من الناس كما فى قوله : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ [القمر : ١] أخبرهم بذلك ليستعدوا لها . قال فى الصحاح : أزفت الآزفة ، يعنى : القيامة وأزف الرجل عجل ، ومنه قول الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركبنا لما نزل برحالتنا وكأن قد

﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله سبحانه . وقيل : كاشفة بمعنى انكشاف ، والهاء فيها كالهاء فى العاقبة والداهية . وقيل : كاشفة بمعنى كاشف ، والهاء للمبالغة كراوية ، والأول أولى ، وكاشفة صفة لموصوف محذوف كما ذكرنا ، والمعنى : أنه لا يقدر على كشفها إذا غشت الخلق بشدائدها وأحوالها أحد غير الله . كذا قال عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم . ثم وبخهم سبحانه فقال : ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون ﴾ المراد بالحديث : القرآن ، أى كيف تعجبون منه تكذيبا ﴿ وتضحكون ﴾ منه استهزاء مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء ﴿ ولا تبكون ﴾ خوفا وانزعاجا لما فيه من الوعيد الشديد ، وجملة : ﴿ وأنتم سامدون ﴾ فى محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون مستأنفة لتقرير ما فيها ، والسمود : الغفلة والسهو عن الشيء ، وقال فى الصحاح : سمد سموداً : رفع رأسه تكبرا ، فهو سامد . قال الشاعر :

سوامد الليل خفاف الأزواد (١)

وقال ابن الأعرابى : السمود : اللهو ، والسامد : اللهى ، يقال للقينة : أسمدينا ، أى ألهينا بالغناء ، وقال المبرد : سامدون : خامدون ، قال الشاعر :

رمى الحدثان نسوة آل عمرو بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهنّ السود بيضا وردّ وجوههنّ البيض سودا

﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية به وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجه أمر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له ، والفاء جواب شرط محذوف ، أى إذا كان الأمر من الكفار كذلك ، فاسجدوا لله واعبدوا ، فإنه المستحق لذلك منكم ، وقد تقدم فى فاتحة السورة أن النبى ﷺ سجد عند تلاوة هذه الآية ، وسجد معه الكفار ، فيكون المراد بها : سجد التلاوة ، وقيل : سجد الفرض .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ قال : أعطى وأرضى . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ وأنه هو ربّ الشعري ﴾ قال : هو الكوكب

(١) خفاف الأزواد : أى ليس فى بطونها علف ، وقيل : ليس على ظهورها زاد للركاب .

الذى يدعى الشعرى . وأخرج الفاكهى عنه أيضا قال : نزلت هذه الآية فى خزاعة ، وكانوا يعبدون الشعرى ، وهو الكوكب الذى يتبع الجوزاء . وأخرج ابن مردويه عنه أيضا فى قوله : ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ قال : محمد ﷺ . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : الآزفة من أسماء القيامة . وأخرج ابن أبى شيبه ، وأحمد فى الزهد وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، عن صالح أبى الخليل قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون ﴾ فما ضحك النبى ﷺ بعد ذلك إلا أن يتبسم . ولفظ عبد بن حميد : فما رأى النبى ﷺ ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا ^(١) . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ سامدون ﴾ قال : لاهون معرضون عنه . وأخرج الفريابى ، وأبو عبيد فى فضائله ، وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى ذم الملاحى والبخارى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى سننه عنه : ﴿ وأنتم سامدون ﴾ قال : الغناء باليمانية ، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا . وأخرج الفريابى ، وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضا فى قوله : ﴿ سامدون ﴾ قال : كانوا يمرون على النبى ﷺ شامخين ، ألم تر إلى البعير كيف يخطر شامخا ^(٢) . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أبى خالد الوالى قال : خرج على بن أبى طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال : ما لكم سامدون ، لا أنتم فى صلاة ولا أنتم فى جلوس تنتظرون ؟

(١) ابن أبى شيبه (١٦٢٠٣) .

(٢) أبو يعلى (٢٦٨٥) وابن جرير ٤٩/٢٧ وقال الهيثمى فى المجمع ١١٩/٧ : « فيه الضحاك بن مزاحم ، وقد وثق ، وفيه ضعف » وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٣٧٥٨) وسكت عنه البوصيرى .